المحاضرة الأولى: مدخل إلى الأنثروبولوجيا

الأهداف التدريسية:

- ✓ **تمكين الطالب من فهم السيرورة التاريخية لتطور الفكر الأنثروبولوجي.**
- ✓ **تلقين الطالب المعارف النظرية للأنثروبولوجيا.**
- ✓ **تفكيك التشابك بين مفهوم الأنثروبولوجيا وبين المفاهيم المتاخمة**
- ✓ **تعريف الطالب بالمدارس العلمية الكبرى في الأنثروبولوجيا**

1. مفهوم الأنثروبولوجيا

تتكون كلمة أنثروبولوجيا من مقطعين (Anthropo) أي الإنسان، والثاني وهو (Logy) أي العلم أو الدراسة، ومعناها "دراسة الإنسان" أو "علم الإنسان"، غير أن الترجمة للعربية يجعل من المصطلح محدودا وغير ذي جدوى، فبهذا المعنى (دراسة الإنسان) تتقاطع الأنثروبولوجيا مع علوم أخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والبيولوجيا الإنسانية[1]،

إن الدراسة التاريخية للمعاني المتعددة للأنثروبولوجيا تكشف عن تغير وتطور معانيها التي ترتبط بتعدد المرجعيات النفسية والاجتماعية والبيولوجية والمشروطة بمحددات معرفية. ومن منظور بيولوجي يهتم بالخصائص البيولوجية والتشريحية للإنسان، بينما تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بالبنى الثقافية والعرقية، ويساهم تنوع وتعدد هذا المنظور في المجال المعرفي للأنثروبولوجيا[2].

وأشار الباحث جان بواريه J. Poirier إلى أن الأنثروبولوجيا ظهرت في أعمال علماء الطبيعة في القرن الثامن عشر، أي دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان. ينسب بواريه الفضل إلى العالم الألماني يوهان بلومنباخ J.Blumenbach باعتباره أول من أدخل مصطلح الأنثروبولوجيا في المناهج الدراسية. تدريس التاريخ الطبيعي في المقررات الجامعية.

[1] محمد الجوهري وعلياء شكرى، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، 2008، ص 18.

[2] فوزية زنقوفي، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، مطبوعة جامعية موجهة لطلبة السنة الأولى ل– م–د، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2022/2021

تُعرف الأنثروبولوجيا بأنها "العلم الذي يدرس البشر باعتباره كائن حي عضوي يعيش في مجتمع تهيمن عليه النظم والأنماط الاجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأفعال متنوعة، ويتصرف بطرق محددة." "الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحديثة ويحاول التنبؤ بمستقبل البشرية، لذلك تعتبر الأنثروبولوجيا علماً متطورا عبر تاريخ البشرية[1]، تقوم الأنثروبولوجيا، بالإضافة إلى دراسة المجتمع وتطوره بالإضافة إلى ذلك، ودراسة أيضًا طريقة بقاء الإنسان. يصف الحياة في المجتمع من خلال ربط الجوانب الأخلاقية والمادية والتأكيد على كيفية تنظيم الأفراد والجماعات لأسلوب حياتهم والحفاظ على بقائهم واستمرارهم[2].

يعرف **القاموس الفرنسي** الأنثروبولوجيا بأنها "شعبة العلوم التي تدرس الكائن الإنساني في كلّ أبعاده مرة واحدة، الهيكلة والتاريخ الفزيقي وعلى المستوى الثقافي مثل الدين والنفس والجغرافيا"، واتفق **كلود ليفي شتراوس** مع القاموس الفرنسي في تعريف الأنثروبولوجيا فهو يرى أن الأنثروبولوجيا "تهدف إلى فهم شامل وكلي لعلاقة الإنسان بامتداده التاريخي وبيئته الجغرافية".

يرى **تايلور** أن الأنثروبولوجيا هي "**الدراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان**"، كما أنه قام بوضع الأسس العلمية للانثروبولوجية من خلال فرضيته الشهيرة "وحدة النفس البشرية" وهي الفرضية التي شكلت تحولا عظيما في تعدد المعاني لدى الإثنوغرافيين وفي الالتزام الشامل والإنساني بالمساواة والقيم الخلقية لكل النوع البشري، وأدخلت في الأنثروبولوجيا نزعة النسبية Relativism للحدّ من هيمنة النزعة المركزية الفيكتورية[3].

تصف الباحثة الأمريكية **مارجريت ميد** الأنثروبولوجيا بأنها "تقوم بدراسة الخصائص الإنسانية، البيولوجية، والثقافية، للنوع البشري عبر الزمان وفي سائر الأماكن وتحليل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة وتحليل النظم الاجتماعية

[1] أحمدأبو هلال، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الأردن، 1974، ص 9.

[2] فهد سلطان السلطان، من الفصل الدراسي إلى المجتمع: تطبيقات الأنثروبولوجيا التربوية في الميدان التربوي، مجلة كلية التربية ببنها، العدد 110، أبريل 2017، ص 161.

[3] فريدريك بارث وآخرون، الأنثروبولوجيا: حقل علمي واحد وأربعة مدارس، تر: أبو بكر أحمد باقادر وإيمان الوكيلي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، بيروت 2017، ص 20.

والتكنولوجية وبحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته وبالتالي تعمل الأنثروبولوجيا على ربط وتفسير نتائج دراستها في إطار نظريات التطور أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر"[1].

يمكن وضع إطار أكثر تحديدا للأنثروبولوجيا من خلال[2]:

- الأنثروبولوجيا هي الدراسة العلمية للإنسان.
- مبحث علمي متخصص يقوم على دراسة التطور التاريخي والمقارن للإنسان من المرحلة البدائية إلى المرحلة الحالية.
- التحقيق في استراتيجيات الحياة التي يتعلمها ويشاركها الناس كأعضاء في المجموعة الاجتماعية البشرية.
- تدرس الأنثروبولوجيا الخصائص التي يتشاركها الناس كأعضاء في نوع واحد (الإنسان العاقل) والطرق المتنوعة التي يعيش بها الناس في بيئات مختلفة.
- تقوم بإنجاز تحليلات اجتماعية للمواضيع الاجتماعية المادية والإبداعية غير المادية كالمعتقدات والقيم والممارسات المؤسسية.
- تسعى الأنثروبولوجيا إلى تقديم مقاربة علمية مقارنة تشمل معرفة كيف ولماذا يتشابه الناس ويختلفون من خلال فحص مقارن بين ماضيهم وحاضرهم البيولوجي والثقافي للمجتمعات البشرية المعاصرة.

ويعرف **Boas** بأنها "دراسة الإنسان ككائن اجتماعي ويشمل موضوع دراستها جميع ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية دون تحديد زماني أو مكاني". ويعرف **محمد حسن غامري** الأنثروبولوجيا بأنها دراسة الإنسان سواء كان في الأزمنة السحيقة أو المعاصرة، وذلك بالتركيز على بحث ودراسة طرق حياة الناس الذين كانوا يعيشون في الماضي السحيق، وكذلك طرق حياة الناس في الزمن المعاصر[3].

[1] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، ص 14

[2] Zerihun Doda,M.A, ***Introduction to Sociocultural Anthropology***, the Ethiopia Ministry of Education, Debub University, 2005, pp 5,6.

[3] التيجاني مياطة، الأنثروبولوجيا الثقافية دراسة حضارية أثرية– محاضرات من مقرر السنة الأولى ماستر تاريخ الحضرات القديمة، جامعة الشهيد حمى لخضر الوادى، 2021، ص 15.

اتجه الأمريكيون في بناء تصورهم حول الأنثروبولوجيا نحو وجهتين أساسيتين: الأنثروبولوجيا الفيزيقية (الجسمية) Physical Anthropology التي تعنى بدراسة الجانب العضوي والحيوي للإنسان، والأنثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology التي تضم عدد من التخصصات العلمية التي تقوم بدراسة مختلف النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان[1]، يدخل في ذلك الدراسات التي تتعلق بحياة الإنسان القديم والتي يشار إليها بعلم الأركولوجيا Archolology، وتتناول الأنثروبولوجيا الثقافية دراسة لغات الشعوب البدائية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة وذلك في إطار ما يعرف بعلم اللغويات Linguistics، بالإضافة إلى ذلك يوجد مجالان أخرين متداخلين هما: الإثنولوجيا Ethnology والإثنوجرافيا Ethnography وتعنى الأولى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة خلال فترة زمنية معينة، أما الإثنولوجيا فتهتم بالدراسة التحليلية للمادة الأثنولوجية بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية، من حيث أصولها وتطورها وتنوعها، وبهذا تشكل الاثنوجرافيا قاعدة أساسية لعمل الباحث الأثنولوجي، فالأثنولوجيا والأثنوجرافيا مترابطان وتكمل الواحدة الأخرى.

في أوروبا؛ انعكس التوجه العلمي الذي **تبناه إيمانويل كانت** I.Kant الذي أصدر كتابه الموسوم بـ "Humanities in Pragmatischer Hinsicht" "الأنثروبولوجيا من منظور علمي" ركز فيه على دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان وقدم قراءاته لتصنيف السلالات البشرية، وقد ساد هذا الاتجاه التاريخي والطبيعي للمنظور الأنثروبولوجي فترة من الزمن في أوروبا، لتتسع موضوعات الأنثروبولوجيا في الدراسات المقارنة بين الإنسان والحيوان، ودراسة تنوع السلالات البشرية، والخصائص الوراثية للشعوب، علاوة على دراسات المقارنة بين الإناث والذكور من حيث الصفات التشريحية، والعمليات البيولوجية، وعلاقة ذلك بتحديد الوظائف والأدوار الاجتماعية لكل نوع، إن ما يدرج الأمريكيون تحت مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية يصطلح عليه الفرنسيون بـ "**الأثنولوجيا**"، أما الإنجليز فيستخدمون مصطلح "الأنثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology"، والتي اعتبروها علما مستقلا يهدف حسب **إيفانز ريتشارد** إلى دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذ شكل النظم الاجتماعية كالعائلة والقرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وتدرس العلاقة بين النظم

[1] حسين فهيم، مرجع سبق ذكره، ص 14.

سواء في المجتمعات المعاصرة أو التاريخية، وتتنوع في عدد من المدارس والأقسام الأوروبية الفرنسية والانجليزية والألمانية (سيتم استعراضها في المباحث القادمة) .

توصف الأنثروبولوجيا بأنها أكثر العلوم إنسانية والأكثر علمية بين العلوم الإنسانية، فهي تقوم على الدراسة المقارنة للبشر ومجتمعاتهم وعوالمهم **الثقافية** من خلال الكشف عن التنوع البشري وتفسير التشابه وفهم طبيعة التشارك بين بين جميع البشر[1].

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيو فيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرابية ودينية وقانونية وما إليها... وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل: التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفك والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة، وإن كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية[2].

تسعى الأنثروبولوجيا إلى تجميع المعرفة بالإنسان من كافة النواحي وذلك بهدف تقديم فهم متكامل ومترابط عن الإنسان وحياته ونتاجه الحضاري، في الماضي والحاضر ومن ثم يكون لها القدرة على استقراء أنماط الحياة المستقبلية، وإلى جانب دراسة الأنثروبولوجيا لكافة المجتمعات كجزء من منظورها الشمولي، يتجه الأنثروبولوجي عند دراسته لأسلوب حياة مجتمع معين إلى الربط بين الجانب المعنوي والمادي لما يدور في الحياة اليومية للناس، وإبراز الكيفية التي ينظم بها الأفراد والجماعات وسائل معيشتهم والمحافظة على بقائهم، لهذا لا تفحص الأنثروبولوجيا نظاما أو نشاطا معينا إلا في إطار ترابطه وصلاته بالنظم الأخرى وبالتالي أصبحت الدراسة الحقلية التي تقوم على الاتصال المباشر والمكثف بمجتمع الدراسة، سمة أو ميزة أساسية في تقاليد العمل الأنثروبولوجي[3]. ومن السمات التي تنفرد بها الأنثروبولوجيا هي الأخذ بمنهج المقارنة الموسعة،

[1] Thomas Hylland Eriksen, What is Anthropology?, 2nd Edition, British Library Cataloguing in Publication Data, 2017.

[2] حسين فهيم، مرجع سبق ذكره، ص 14.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

وهي في ذلك تختلف عن العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى في أنها تسعى في تعميمها إلى مقارنة النظم أو أوجه النشاط الإنساني؛ موضع البحث؛ عبر الأماكن وعبر الأزمنة[1].

أهداف دراسة الأنثروبولوجيا:

تسهم الأنثروبولوجيا بسبب طبيعتها وميدان اشتغالها لتحقيق الأهداف التالية[2]:

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بدقة، بالنظر لمعايشة الباحث المجموعة المدروسة والتعرف على ظروفها وسلوكياتها.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان.
- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية وذلك للوصول إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية/الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصور بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

3. فروع الأنثروبولوجيا:

أسهم تطور علم الأنثروبولوجيا وتعدد الرؤى البحثية إلى تنوع فروعها ومجالاتها المعرفية، ويمكن الاستدلال على ذلك على النحو التالي:

1) **الأنثروبولوجيا البيولوجية:** ويشار إليها بالأنثروبولوجيا الفيزيقية، التي تدرس الجوانب الفيزيقية للإنسان (تركيب جسم الإنسان وتنوعه البيولوجي) لذا فهي تهتم بدراسة أسباب التنوع واتجاهات التغيير وأسباب التباين البيولوجي والاختلافات الوراثية، كما تختص بدراسة الإنسان من الناحية التطورية وتحليل الجماعات البشرية.
2) **الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية:** يعتبر الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا الثقافية هو الثقافة الإنسانية وما تشمله من عادات ومعتقدات وتقاليد تخضع كلها لظروف ثقافية معينة محددة بالأزمنة

[1] حسين فهيم، مرجع سبق ذكره، ص14.

[2] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) –دراسة– منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004، ص 17.

والأمكنة، بمعنى أن للإنسان في كل زمان ومكان له ثقافته وتراثه الخاص والمميز. ولكي يبقي الاهتمام بثقافة المجتمعات داخل سياق اجتماعي حامل للمنتجات الثقافية فقدرة الانسان على انتاج ثقافة هي ما يميزه عن باقي الكائنات الحية الأخرى، خاصة في العناصر المادية مثل الملبس والأدوات وغيرها، دون إغفال الطابع المميز والفريد للعلاقات الاجتماعية ضمن دائرة أنساق الحكم والنظم الاجتماعية.

وخلال الفترة 1915-1930 كانت زاخرة بالأبحاث والمناقشات في ميدان الأنثروبولوجيا الثقافية وبصفة خاصة لدى العلماء الأمريكيين، أين ازدهرت المدرسة التاريخية التي أنشأها **بواز** فقد أعطى بوضوح المعلومات الوصفية عن الثقافة في إطار تحليلي وتفسيري للمعطيات الثقافية من خلال عمليات تكوينها وتطويرها.

أما فيما يتعلق بانتشار العناصر الثقافية من مجتمع لآخر، فقد تواصل العالم **ويسلز** إلى مبدأ الانتشار، أين بحث في العوامل الدينامية المؤثرة في المنطقة الثقافية، والتي تتأثر بالعلاقة بين تركز الثقافة والبيئة الجغرافية، وبذلك فقد ظهرت الكثير من الفروع للمدرسة الانتشارية في كل من إنجلترا على يد **إليوت سميث Eliot Smith** وفي ألمانيا على يد **جرابنر Grabner** (ركزت المدرسة على استخدام المنهج التاريخي في دراسة الثقافة، عن طريق عمليات الفحص في الإطار التاريخي والإقليمي الجغرافي، لذلك وصفت أبحاثها بالإمبريقية)

بما أن المفهوم الاجتماعي يبحث في جوهر العلاقات الكلية المترابطة وأن المفهوم الثقافي لا يبتعد عن الاجتماعي في الخصائص المميزة للسلوكيات الفردية لأعضاء الجماعة، يصبح الحقل البحثي الاجتماعي والثقافي في رؤية موحدة متماثلة تتمركز حول التحليل المقارن في العلاقات الاجتماعية من خلال السلوكيات الفردية لأعضاء الجماعة.

ويشمل التعريف الجامع للثقافة مضامين الكل المركب من المعرفة، المعتقدات، العادات، التقاليد... وكل مكتسبات الإنسان باعتباره عضو في المجتمع، لذا تنشأ الأنثروبولوجيا الثقافية في تفاعل الجماعة مع البيئة المحيطة، والتي تسمح بالملاحظة المباشرة لسلوكيات الأفراد فهي تدرس سلوكيات الأفراد الحاملين لثقافة في إطار كلي موحد، فضلا على أنها تدرس الاجتماعي في تطوره من خلال عمليات التفاعل والاحتكاك وغيرها، وكل ما يسمح بتبني معايير ثقافية متبادلة، لذا تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على ملاحظة السلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي.

3) **الأنثروبولوجيا اللغوية:** تركزت الأنثروبولوجيا اللغوية على أعمال **هربرت سبنسر** الذي تأثر بالبيولوجيا التطورية **لتشارلز داروين** Charles Darwin من خلال إسهاماته في بحوث اللغويات وكذلك في اسهامات السويسري فرديناند دي **سوسير وجاكوبسون** اللذين مهدا للبنيوية من خلال البحث في العلاقة بين اللغة والثقافة والتي قد تم التعبير عنها بمصطلح **الإثنولغوية**، والتي اختصت بالوصف والتحليل الشكلي والظاهري للغات.

في هذا السياق أكد **همبولت وسيبر** أن كل لغة هي تعبير عن نظرة مجتمع تعكس ثقافته وشخصيته وذهنيته السائدة في ذلك المجتمع الذي يتكلم اللغة المميزة له، وكما قدم الباحثان الإنجليزيان **كوهين ومايليت** بحوث علمية حول العلاقات الموجودة في ابنية اللغوية والمجتمع والعلاقة بينهما.

4) **الأنثروبولوجيا التربوية:** يعتبر **إيميل دوركايم** مؤسس الأنثروبولوجيا التربوية التي تأسست عمليا بين الفترة (1922– 1925)، حيث قام بعدة بحوث في النظم التربوية موضحا مدة تكيف المجتمعات في هذه الأنظمة حيث أقام علاقة ترابطية بين التكيف والأنظمة التربوية بإشكالية تقسيم العمل إلى عمل ميكانيكي وعمل عضوي، كما درس العلاقة بين التعليم ومتطلبات المجتمع ودور المؤسسة التربوية في تقسيم الأفراد حسب قدراتهم داخل الفصل الدراسي.

5) **الأنثروبولوجيا السيكولوجية:** تبحث في تأثير العوامل السيكولوجية للعمليات الثقافية وتأثير الممارسات الثقافية في العمليات السيكولوجية مثل: الإدراك والانفعال والاتجاهات الشخصية. وكما اهتم الأنثروبولوجي بموضوعي الثقافة والشخصية والعلاقة بينهما وهو الاهتمام النابع من نظرية التحليل النفسي لفرويد.

أسئلة للمناقشة:

- كيف يمكن فهم طبيعة الأنثروبولوجيا ومجال اشتغالها؟
- كيف ساهمت السياقات السياسية والثقافية والعلمية في بلورة ميلاد الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته؟
- فسر التقاطع العلمي والمنهجي بين الأنثروبولوجيا والبيولوجيا وعلم الاجتماع